المصدر: الاهـــــرام

التاريخ: ١٩٧٥/٩/١٥

أنــور الســـــادات •• ثــائر ورجــل دولة

منذ ان قامت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ — وقد كانت ثورة تلقائية شعبية — تقلب على قيادة هذا الوطن — حكومة او شعبا — عدد غير قليل من الرؤساء والزعماء . وكان الامر فى شأنهم يتراوح ما بين الزعامة الشعبية الثورية — كما كان الحال فى شأن سعد زغلول ومصطفى النحاس ، او الرئاسة المحض حكومية كما كان الحال مثلا — ايا كانت النظرة اليهم — فى شأن عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومحمد محمود .

وكانت الغالبية العظمى من اهل هذا البلد متجهة بقلبها وشعورها ووطنيتها الى ما كان يمثله الوفد المصرى « سعد » « والنحاس » — وقد كان شعاره « الاستقلال التام او الموت الزؤام » — على حد تعبير الهتاف التقليدى ابان الثـــورة .

وكانت هناك قلة متجهة بعقلها لابقلبها — الى ناحية عدلى وثروت ومن اليهما من رجال السياسة — لا الثورة — امثال لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وسواهما ممن لا غبار على وطنيتهم ، وان كانت هناك ثمة مآخذ على اعتدالهم فى وقت كان التطرف هو السبيل الامثل والاوحد للحصول على الاستقلال .

الى جوار هؤلاء واولئك — كانت هناك فئة ثالثة — اصبحت بدورها قلة قليلة هى « الحزب الوطنى » وما كان يدعو اليه من « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » .

تلك كانت الاتجاهات المتعددة — التى ما كانت تخلو من تناقض دعا الى تبادل الاتهامات بينها جميعا ..

فالاحرار الدستوريون كانوا فى نظر الوفديين « خونة » للقضية لانهم يدعون الى قبول ما يمكن الحصول عليه — ايا كانت ضآلته ، اعتقادا منهم بأن « شيئا خير من لا شىء » ..

والوفديون كانوا فى نظر الحزب الوطنى « خونة » لمجرد قبولهم بمبدأ المفاوضـــة مع الغاصب المحتل ..

والحزب الوطنى كان فى نظر كل من الوفديين والاحرار الدستوريين مجموعة من أرباب الخيال والنظريات غير المحققة ـ الداعين الى استبدال تبعية بتبعية ـ اى استبدال الحكم العثمانى بالحكم البريطانى ، دون الدعوة الى « الاستقلال التام » الذى كان هو مطلب الامة جمعاء .

لم يكن عجبا اذن ـ وتلك كانت الحال ـ ان يتحير المصريون فى مبدأ الامر حيرة شديدة ، بين دعاة التطرف ودعاة الاعتدال « وجبهة الرفض » .

غير ان الشعب المصرى ـ بسليقته السليمة وبحسه المرهف وبتلك الحاسة السادسة التى يملكها وراثة عن آلاف السنين من الحضارة والرقى الذهنى ، ما لبث ان اتجه بكليته ـ أو بنسبة تصل الى قرابة ٩٨ فى المائة من مجموعه الى ناحية « الوفد المصرى » .

ولم يكن هذا الاتجاه اعتباطا ولا غفلة . بل كان فى تقديرى المتواضع نتيجة منطقية للموازنة والمفاضلة بين مختلف المبادىء التى كانت مطروحة أمامه ..

فان الحزب الوطنى ـ رغم ما كان يتمتع به من محبة وشعبية موروثة عن ايام مصطفى كامل ومحمد فريد ، ورغم ان رجاله كانوا والحق يقال ، من انزه المصريين قلبا واخلصهم وانقاهم وطنية ـ قد فقد هذه الشعبية ازاء استمساكه بمبدأ الامتناع عن المفاوضة امتناعا كاملا .. الا بعد الجلاء ، دون ان يوضح للناس كيف يجلو الغاصب .. وفيما تكون المفاوضة بعد ان يتم الجلاء ..

وقد رأى المصريون فى «جبهة الرفض» هذه مضيعة للوقت وتعلقا بنظريات لا سبيل لتحقيقها الا فى الخيال ، والناس تريد ان تعيش فى دنيا الناس ..

واحس المصريون بأن فى الاحـرار الدستوريين خنوعا واعتدالا مقيتين ،لانهم كانوا على استعداد لقبول اى اتفاق مع الغاصب ، ايا كانت شروطه ومذلته..

ثم وازن الشعب ـ بتلك الحاسـة السادسة ، بين هؤلاء جميعا وبين دعوة الوفد المصرى ـ وسعد زغلول ..

« السعى الى الاستقلال ما استطعنا الى ذلك سبيلا » .

وترجم الناس هذا المبدأ السليم بانه « السعى الى الاستقلال بكل السـبل والوسائل » .

فاذا اقتضى هذا السعى « ثـورة » ثرنا ـ وان استلزم « المقـاطعة » قاطعنا ـ وان امكننا « الحرب » ، حاربنا ..

ومع ذلك ـ وفوق ذلك ـ فاذا راينا سبيلا الى « المفاوضة » فاوضنا » ـ لا مفرطين فى حق او مطلب وطنى ـ بل متمسكين به حريصين عليه ، متقدمين خطوة بعد الخطوة الى ان نصل الى

استكمال هذا « الاستقلال التام » .

لذلك فان « سعدا » ـ وهو زعيم الثورة المصرية غير المنازع ، والذى قادها فى احلك ايامها ـ وسجن وشرد ونفى بدل المرة مرتين ـ الى مالطة ثم الى سيشيل وجبل طارق ـ لم يجد حرجا ، بل وجد عليه فرضا محتوما ان يتجه الى «لندن» عاصمة بلاد الاعداء الغاصبين مفاوضا هذا الغاصب ، مطالبا بحق امته تلك هى الوطنية الحقة ، القائمة على الاعمال والانجازات، لا الاقوال والشعارات وذلكم هو « سعد » ـ الثائر ورجـلُ الدولة .

واننى ازعم ، عن يقين وعلم الله دون اى مصلحة غير مصلحة هذا الوطن الامين

ـ فليس لى مطمع فى منصب او جاه ـ ان « انور السادات » قد اثبت انه « خليفة سعد » لانه قد اقام البرهان الملموس على انه ـ كما كان سعد من قبله ـ « الثائر ورجل الدولة » .

فقد بدا انور السادات حياته السياسية ثائرا من الطراز الاول .

■ ثار ضد الانجليز واعوانهم ايام الاحتلال .

■ وثار ضد طغيان السراى وما كان يمثله الملك والملكية .

■ وثار ضد فساد الحكم ـ رشوة وانحلالا .

فى هذا كله اضطهد وشرد وسجن واعتقل وحورب فى غير هوادة ، فلم يضعف ولم تلن له قناة .

فلما قامت ثورة ٢٣ يوليو شارك فيها بذلك النصيب الموفور المعروف . ثم ثار للثورة ، وليس على الثورة ..

فما ان راى الثورة تنحرف عن المسار الامثل الذى كانت الامة ترجوه لها ـ ومن الاهداف الحقة السليمة التى اعلنتها ولاذت ثقة الشعب من اجلها ، حتى ثار من جديد على ما اطلق عليه « مراكز القوى » او « السلبيات » وهى تعبيرات تعنى فى ضمير كل مصرى معنى مفهوم .

■ ثم ثار على كبت الحريات .. واطلاقها من عقالها .

■ ثم ثار على الهزيمة وعارها .

فحارب وانتصر حتى استرد جيش مصر اعتباره ، واسترد هذا الوطن كرامته المضيعة ..

على انه كان فى حربه هذه « ثائرا » ولم يكن مقامرا « ولا مغامرا » ..

بل كان رجل الدولة الذى يحسب الامور جميعها حسابا دقيقا ، يعرف ماله وما عليه ، وكيف يفيد مما اتيح من سلاح اكبر فائدة يحققها لوطنه الاصغر « مصر » ولوطنه الاكبر « بلاد العرب اجمعين »..

وبهذا الحساب الدقيق والتدبير المتقن بدا السادات فى توفير فرص السلام للمنطقة كلها ، وهو فى مركز القوة وجيوشه مظفرة ..

وبهذا الحساب والتدبير انفق على فض الاشتباك الاول — ثم فض الاشتباك الثانى .

هذا هو الثائر رجل الدولة

لا المزايد ولا المهرج الذى يستجدى تصفيقا رخيصا من جماعات بعضها لا يستطيع ان يزن الامور بوزنها الصحيح وبعضها مرتزق ، وبعضها لا يعنيه من الامر شيئا ولا يفقه ما يردده — كالببغاء — من شعارات ..

ذلكم هو الثائر رجل الدولة ...

الذى يخدم وطنه واهل وطنه ، ناظرا الى حاضرهم — وماضيهم — وعلى الاخص الى مستقبلهم ..

وليس يمكن ان يتهم انور السادات — فى هذا كله — بالضعف — او الخذلان — او تصفية القضية ، او غير ذلك من الفاظ مجتها الاسماع الى حد الغثيان

فهل كان ضعيفا ، من حشد تلك الجيوش وانزل بالصهاينة اول هزيمة فى تاريخهم الاسود ..

وهل كان متخاذلا — او كان وطنه ضعيفا — من انفق على « القضية »

حتى الان آلاف الملايين من الجنيهات ، وليس فى هذا الرقم مبالغة — بل هو الاحصاء السليم .. والذى لو توزع — كما قال توفيق الحكيم فى كتاب اخير له

ـ على قرى مصر الاربعة آلاف ـ لاصبحت كل قرية منها جنة من الجنان .. او على الاقل قرية من قرى سويسرا .. !

وهل كنا « تصفويين » ـ وامامكم قائمة بالشهداء الذين استشهدوا وهم يهتفون باسم « فلسطين » قبل اسم « مصر » ..

ارواح عشرات الالاف من هؤلاء الشهداء ترد عليكم هذا الاتهام الباطل .. ولعلها ـ في الخلد ـ تعتب عليكم هذا النكران والجحود .

ان المصريين لفي الم عميـــق ..

لقد كنا نأمل ـ بل كنا على ثقة ـ بأن اخواننا العرب جميعا ـ الا قلة دخل قلبها المرض ـ ستسارع الى ان تشد على يد « انور السادات » ـ ومن معه من رجال السيف والعلم والسياسة ، مهنئين بانهم سائرون على الدرب السليم .. فاذا بنا على النقيض من ذلك ـ نرى بعض الاقلام المشرعة والحناجر المبحوحة وهي تهتف ضد « مصر والمصريين » .

سامحكم الله ..

لقد قال السادات ـ وقال معاونوه ـ ان « القضية » قضيتنا ـ وان التحرير الكامل لبلاد العرب جميعا هو مهمتنا وهدفنا ـ وقد حققت مصر حتى الان مرحلة طيبة ـ قلنا واعدنا القول انها « مرحلة » « وليست نهاية » ..

وجيوش مصر ـ درع العرب الواقية ـ هي هي ، لا تنقص بل تزيد ، رغم هوائق اصدقائكم الجدد ـ الروس ـ وعلم الله ما هم الا اصدقاء انفسهم ، لا يهمهم من امرنا شيئا الا التوغل بين صفوفنا وادخال الفرقة بيننا .

ايها الاخوة الاعزاء ..

تنبهوا ـ فهذه الفرقة هي التي سعى ويسعى اليها الصهاينة دائبين . عودوا معنا الى الصف ـ بنيانا مرصوصا ـ فظلكم هو الحصن الحصين ■

فكـرى مكـرم عبيـد